

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول
الله وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد
فإن الله جميل يحب الجمال ، طيب لا
يقبل إلا طيباً ويستتر القبيح ، لا يحب الجهر
بالسوء، يحب لحزبه القلبية والمنفعة ويكره
من يعادي أوليائه ، كما يكره الصد عن سبيله
بقبيح الفعال وسيئ الأخلاق.

إن سمعة المسلمين من الأمور العظيمة
التي يدعو الإسلام للمحافظة عليها والابتعاد
عن خدشها لأنه لا يليق بالمسلمين أن يكونوا
محل تهمة وشبهة وشك وريبة، لأن ذلك يصد
الناس عنهم وينفرهم فلا يصلح أن يكون
المسلم مخادعا ولا سببا ولا لعانا ولا طعانا
ولا فاحشا ولا بذيئا ولا محل ريبة ولهذا كان
دعائهم كما ذكر عنهم ذلك ربهم، قال الله
تعالى: « رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ »
وَجَعَلْنَا بَرَحِمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ » [يونس: ٨٥،
٨٦]، وقال : « وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ
الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تَوَلَّىٰ مَا قَوْلَىٰ وَتُضْلِهِ
جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » [النساء/١١٥].

عن مجاهد، في قوله: «نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى» يَقُولُ:
«نُؤَلِّهِ فِي الْآخِرَةِ مَا تَوَلَّى مِنَ الْهَةِ الْبَاطِلِ فِي
الدُّنْيَا». [تفسير مجاهد ص: ٢٩٢]

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: « يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا
قَوَّامِينَ يَاقِسْطَ شَهَدَةِ اللَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا
تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ
كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا » [النساء: ١٣٥]

وقال: « يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ
شُهَدَاءَ يَاقِسْطَ وَلَا تَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا
تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ». المائدة / ٨.

. عن خنيس بن عبد الله بن عمرو بن عوف
المزني، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال: «الصلح جائز بين
المسلمين، إلا صلحا حرم خلا، أو أخل حراما،
والمسلمون على شروطهم، إلا شرطا حرم خلا،
أو أخل حراما» الترمذي وقال: هذا حديث حسن
صحيح.

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده،
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«المسلمون تتكافأ دماؤهم. يسعى بذمتهم
أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من

باب الأسرة

منهج الرسول ﷺ

في الحفاظ على
سمعة المسلمين

جمال عبدالرحمن / إعداد



بالله. تفسير الطبري
وفي هذه الآية تحذير من الله عز وجل
للمسلمين من أي سلوك يستفز المخالف لهم إلى
سب الله ورسوله والإسلام والمسلمين.

وعمر رضي الله عنه يخشى كلام الناس فيه

عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان
يقول: من أراد ألا يسيء الناس به الظن فلا
يقف مواقف التهم، ها هو يطبق ذلك على
نفسه، فيجنب نفسه شكوك الناس وظنونهم.

عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَمَدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا
بَعْدُ، فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ فَكُنَّا نَقْرَأُ: وَلَا تَرْغَبُوا عَنْ آيَاتِكُمْ فَإِنَّهُ
كُفْرٌ، وَآيَةُ الرَّجْمِ. وَإِنِّي قَدْ خَفْتُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ
قَوْمٌ يَقُولُونَ: لَا رَجْمَ، وَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَجَّمَ وَرَجَّمْنَا. وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ يَقُولَ
النَّاسُ: إِنَّ عُمَرَ زَادَ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَكَتَبْتُهَا. وَلَقَدْ
نَزَلَتْ وَكُتِبْنَاها. [تفسير يحيى بن سلام].

وهذا أيضا من حرص أمير المؤمنين عمر
بن الخطاب رضي الله عنه ألا توجه السهام
نحو الرموز الإسلامية فيكون في ذلك فتنة
لناس.

والرسول صلى الله عليه وسلم

يوقت على من يصد الناس وينفّرهم

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ: إِنِّي أَتَاخَرُ عَنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ (الفجر) مِنْ
أَجْلِ فُلَانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ غَضَبًا فِي مَوْعِظَةٍ مِنْهُ
يَوْمَئِذٍ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنْ مِنْكُمْ لِمُنْفِرِينَ،
فَأَيْكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ؛ فَإِنْ فِيهِمْ
الضَّعِيفُ وَالْكَبِيرُ وَذَا الْحَاجَّةِ». [مسند أحمد
وإسناده صحيح على شرط الشيخين].

وهو هنا لم يقبل صلى الله عليه وسلم
التنفير والصد عن الإسلام وشعائره، مما يكره
الناس فيه، ولأجل ألا نصد الناس عن الإسلام
والمسلمين بسبب أفعالهم فإن الرسول صلى
الله عليه وسلم يؤكد على أصحابه ألا يكونوا
سببًا في فتنة الناس وصدهم وتنفيرهم.

ويأمر بالوفاء بالعهود ولو مع الأعداء

مهما كان الثمن

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: مَا مَنَعَنِي أَنْ
أَشْهَدَ بِذُرِّهِ إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ، قَالَ:
فَأَخَذْنَا كَفَّارَ قَرِيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تَرِيدُونَ مُحَمَّدًا،

سِوَاهُمْ يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَيَّ مُضْعِفُهُمْ، وَمُتَسَرِّعُهُمْ
عَلَيَّ قَاعِدُهُمْ لَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ بَكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ
فِي عَهْدِهِ. [سنن أبي داود ٨٠٣/٣] وصححه
الألباني.

النبي صلى الله عليه وسلم يبدأ بنفسه

النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه خيرة
خلق الله، وأفضلهم أدبًا وخلقا وليس محلا
لأدنى ريبة ولا شك، بل من شك فيه كفر بالله
تعالى، ومع هذا لما سار بأهله ليلا وراه بعض
المسلمين دفع ما يمكن أن يلقيه الشيطان في
قلوب الناس، فقال لصاحبيه: على رسلكما.

عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، أَنَّ صَفِيَّةَ - زَوْجَ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهَا جَاءَتْ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزُورُهُ، وَهُوَ
مُعْتَكِفٌ فِي الْمَسْجِدِ، فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ
رَمَضَانَ، ثُمَّ قَامَتْ تَتَقَلَّبُ (ترجع)، فَقَامَ مَعَهَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا بَلَغَ
قَرِيبًا مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ، عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَرَّ بِهِمَا رَجُلَانِ مِنَ
الْأَنْصَارِ، فَسَلِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ثُمَّ نَفَذَا، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيَّ رُسُلُكُمَا، هَذِهِ صَفِيَّةٌ» (يعني:
انتظرا) قَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَبَّرَ
عَلَيْهِمَا ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ
الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَغْدِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا». [صحيح البخاري ٨٢/٤]

والرسول صلى الله عليه وسلم يعلمنا
هنا أن الإنسان لا يقف مواقف التهم والريب،
وعليه أن يزيل الشبهة عن نفسه ولو عند أوثق
الثقات.

حذار أن يسب الله تعالى ورسوله بسببك

وَقَدْ نَزَّهَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ اسْمُهُ
مَعْرُضًا لِلْحَنْثِ الْعَظِيمِ وَالنَّكَثِ الذَّمِيمِ وَعِلْمُنَا
أَنَّ النَّاقدَ بَصِيرَ، وَالْمَوَاقِفَ الشَّرِيفَةَ النَّبَوِيَّةَ
أَعْلَاهَا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، فَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: «وَلَا
تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ
عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ
إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ». [الأنعام/١٠٨]

قال قتادة: كان المسلمون يسبون أوثان
الكفار، فيرتبون ذلك عليهم، فنهاهم الله أن
يستسببوا لربهم، فإنهم قوم جهلة لا علم لهم

يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَبِيثُ؟ لَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي
أَبْنِ سُلُوفٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ».

صحيح البخاري.

• وفي رواية عنه رضي الله عنه قال: أتى
رَجُلٌ بِالْجُفْرَانَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَهُوَ يَقْسِمُ غَنَائِمَ مُنْصَرَفَةٍ مِنْ حُنَيْنٍ، وَفِي ثَوْبٍ
بِلَالٍ فَضَةٌ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقْبِضُ مِنْهَا يُعْطِي النَّاسَ. فقال الرجل: يَا
مُحَمَّدُ؛ اْعْدِلْ، فقال: «ويلك، ومن يعدل إذا لم أكن
أَعْدِلْ؟ لَقَدْ خَبَيْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلْ». فقال
عُمَرُ: دَعْنِي أَقْتُلْ هَذَا الْمُنَافِقَ. قال: «مَعَاذَ اللَّهِ،
أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنْ هَذَا
وَأَصْحَابَهُ يَقْرَعُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ،
يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ».
أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ. [تاريخ الإسلام].

• وفي رواية: قال أسيد بن حضير رضي
الله عنه: والذي بعثك بالحق يا رسول الله لا
أُبرِحُ حَتَّى آتِيكَ بِرُؤُوسِهِمْ، فقال صلى الله عليه
وسلم: (إني أكره أن يقول الناس: إن محمداً
قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم
يقتلهم) فقال: يا رسول الله؛ هؤلاء ليسوا
بأصحاب، فقال صلى الله عليه وسلم: (أليس
يظهرون الشهادة؟). [روح البيان ٣/ ٤٦٧]

ولا يوقعون الأعداء في أدنى ظن سيء بالمسلمين

هذا رجل أسلم ومعه أمانات للمشركون
لكنه كتم إسلامه حتى يرد إليهم ودائعهم
لا يزعجوا بإسلامه ظناً منهم أنه سيذهب
بأموالهم لاختلاف الدين .

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ قَالَ:
خَرَجَ أَبُو الْعَاصِ تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ، وَكَانَ رَجُلًا
مَامُونًا، فَكَانَتْ مَعَهُ بَضَائِعُ لِقْرِيشَ، فَأَقْبَلَ
فَلَقِيته سَرِيَّةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فَاسْتَأْذَنُوا عَيْرَهُ وَهَرَبَ، وَقَدَّمُوا عَلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا أَصَابُوا فَقَسَمَهُ
بَيْنَهُمْ، وَآتَى أَبُو الْعَاصِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ
فَاسْتَجَارَ بِهَا، وَسَالَهَا أَنْ تَطْلُبَ لَهُ مِنْ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَدَّ مَالِهِ عَلَيْهِ، فَدَعَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّرِيَّةَ فَقَالَ
لَهُمْ: «إِنْ هَذَا الرَّجُلُ مِمَّنْ حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ
أَصَبْتُمْ لَهُ مَالًا وَلِغَيْرِهِ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ، وَهُوَ فِيءٌ،
فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَرُدُّوهُ عَلَيْهِ فافْعَلُوا، وَإِنْ كَرِهْتُمْ
فَانْتُمْ وَحَقِّكُمْ». قالوا: بل نرده عليه. فردوا والله

فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ، فَآخِذُوا مِنَّا
عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لِنُنْصِرَفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا
نُقَاتِلَ مَعَهُ، فَاتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبْرَ، فَقَالَ: «انْصَرَفُوا، نَفِي
لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنُسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ» صحيح
مسلم.

ويوفون بالعهد مع العدو اللدود

اقتتل المسلمون بقيادة أبي عبيد بن
مسعود الثقفي والفرس بقيادة جابان قتالا
شديداً فهزم الله أهل فارس، وأسِرَ جَابَانُ،
أَسْرَهُ مَطَرُ بْنُ فَضَةَ التِّيمِيُّ، وَأَمَّا مَطَرُ بْنُ
فَضَةَ فَإِنَّ جَابَانَ خَدَعَهُ، حَتَّى تَفَلَّتْ مِنْهُ بَشْيَةٌ
فَخَلَّى عَنْهُ وَفَدَاهُ، فَآخَذَهُ الْمُسْلِمُونَ، فَاتَوَّأَ
بِهِ أَبَا عُبَيْدٍ وَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ الْمَلِكُ، وَأَشَارُوا
عَلَيْهِ بِقَتْلِهِ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ أَنْ أَقْتُلَهُ،
وَقَدْ أَمَنَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، وَالْمُسْلِمُونَ فِي التَّوَادِّ
وَالْتَنَاصُرِ كَالْجَسَدِ، مَا لَزِمَ بَعْضُهُمْ فَقَدْ لَزِمَهُمْ
كُلُّهُمْ. [تاريخ الطبري]

بل وينهى صلى الله عليه وسلم أن تكون شمة

المسلمين محلاً للشكوك والظنون

ارتكب بعض الناس ممن ينتسبون إلى
الإسلام فظائع في حق النبي صلى الله عليه
وسلم ومنهم من كان منافقاً معلوم النفاق،
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصبر على
أذاهم وبلاهم مع أن أعمالهم كان يستحقون
عليها القتل، لكنه كان يمتنع عن قتلهم حتى
لا يرى الناس ذلك فيظنون أنه صلى الله عليه
وسلم يدعو الناس إلى الإسلام ثم يقتلهم بعد
ذلك.

عن عُمَرُ بْنُ دِينَارٍ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى
كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَابٌ، فَكَسَعَ
أَنْصَارِيًّا ضَرْبَهُ بِقَدَمِهِ، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ
غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ:
يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ،
فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: « مَا
يَا لِدَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ؟ ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ »
فَأَجْبَرَ بِكَسَعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيَّ، قَالَ: فَقَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعَوْهَا فَإِنَّهَا
خَبِيثَةٌ» وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَسْلَمٍ: «
أَقْدَ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا، لَيْتَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ
لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَا نَقْتُلُ

عَلَيْهِ مَا أَصَابُوا، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لِيَأْتِيَ بِالشَّنَّةِ، وَالرَّجُلَ بِالْإِدَاوَةِ وَبِالْحَبْلِ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَأَدَّى إِلَى النَّاسِ بِضَائِعَهُمْ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هَلْ بَقِيَ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ مَعِي مَالٌ؟ قَالُوا: لَا، فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا. فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا مَنَعَنِي أَنْ أَسْلَمَ قَبْلَ أَنْ أَقْدِمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَخَوُّفًا أَنْ تَظُنُّوا أَنِّي إِنَّمَا أَسْلَمْتُ لِأَذْهَبَ بِأَمْوَالِكُمْ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. [تَارِيخُ الْإِسْلَامِ لِلْإِمَامِ الذَّهَبِيِّ].

يعني هذا الرجل كره أن يزجج المشركين بإسلامه، مع علمه في نفسه أنه سيرد إليهم بضائعهم وتجارتهم ولو أسلم، ولكن مجرد أن يزججوا عليها حتى تصل من المدينة إلى مكة، رفض أن يعيشهم هذا القلق وهذا الظن الذي كان سينتهي بوصولهم إليهم.

حتى تحديث الناس ينبغي أن يكون بكلام يفهمونه مهما كان حقاً فيوقع الكلام موقعه، فكل حدث حديث، ولكل مقام مقال، وربما ذكر حكم في غير أهله فصدهم عن السبيل، أو كذبوا بهذا الحديث. قَالَ عَلِيٌّ: «حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ». [صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ]

وَيَعْنِي قِيَمَةً مَجْدَهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِالْخَطَا

فِي حَقِّ عَدُوِّهِمْ

هذا المثنى بن حارثة يقاتل الفرس في معركة البويب بعد مقتل أبي عبيد، وقد عبر الفرس إلى المسلمين نهر الفرات فهزمهم المثنى ففروا هاربين إلى الجسر فبادرهم عند الهزيمة إلى الجسر، فقطعه عليهم، فأخذوا يمينا ويسرة، وتبعهم المسلمون إلى الليل، ومن الغد إلى الليل، وندم المثنى على قطعه الجسر، واعترف بخطئه وقال: لَقَدْ عَجَزْتُ عَجْزَةً (أَي زَلْتُ) وَقَى اللَّهُ شَرَّهَا بِمَسَابِقَتِي إِيَّاهُمْ إِلَى الْجَسْرِ وَقَطَعَهُ، حَتَّى أَحْرَجْتَهُمْ، فَإِنِّي غَيْرُ عَائِدٍ، فَلَا تَعُودُوا وَلَا تَقْتَدُوا بِي أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّهَا كَانَتْ مِنِّي زَلَةٌ، لَا يَنْبَغِي إِجْرَاجَ أَحَدٍ إِلَّا مَنْ لَا يَقْوَى عَلَى امْتِنَاعٍ. [تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ].

لَا يَصْلُحُ مَعَ الْإِسْلَامِ سُلُوكِيَّاتٌ فَاسِدَةٌ

. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَرَادَ فَضَالَةُ بْنُ عُمَيْرٍ

بْنُ الْمَلُوحِ - يَعْنِي النَّبِيَّ - قَتَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عَامَ الْفَتْحِ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَالَةُ؟» قَالَ: نَعَمْ فَضَالَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَاذَا كُنْتَ تَحْدُثُ بِهِ نَفْسُكَ؟» قَالَ: لَا شَيْءَ كُنْتُ أَذْكَرُ اللَّهَ، قَالَ: فَضَحَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ» ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ، فَسَكَنَ قَلْبُهُ فَكَانَ فَضَالَةُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْ صَدْرِي حَتَّى مَا مِنْ خَلْقٍ لِلَّهِ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ، قَالَ فَضَالَةُ: فَرَجَعْتُ إِلَيَّ أَهْلِي فَمَرَرْتُ بِامْرَأَةٍ كُنْتُ أَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ: هَلُمَّ إِلَى الْحَدِيثِ؟ فَقَالَ: لَا، وَانْبَغَتْ فَضَالَةُ يَقُولُ:

قَالَتْ هَلُمَّ إِلَى الْحَدِيثِ فَقُلْتُ لَا

يَأْتِي عَلَيْكَ اللَّهُ وَالْإِسْلَامُ

لَوْ قَدْ رَأَيْتَ مُحَمَّدًا مَعَ صَخْبِهِ

بِالْفَتْحِ يَوْمَ تَكَسَّرَ الْأَصْنَامُ

لَرَأَيْتَ دِينَ اللَّهَ أَضْحَى بَيْنَا

وَالشَّرْكَ يَغْشَى وَجْهَهُ الْإِظْلَامُ

[الْبَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ]

سبحان الله؛ هذا الرجل لم يعلم من الإسلام سوى الشهادتين، لم يستمع إلى خطبة، ولم يجلس إلى موعظة ودرس، ولم يجلس أمام قنوات دينية، فلما دعتة العشيقة، قال لها: يَا بَئِيَ اللَّهُ وَالْإِسْلَامُ، وكثير من الناس وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ وَشَابَ فِيهِ، وَلَا يَعْرِفُ أَوَامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ.

وعن الشعبي، قَالَ قَدِمَ أَبُو الْعَاصِ مِنَ الشَّامِ وَمَعَهُ أَمْوَالُ الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ أُسْلِمَتْ أَمْرَأَتُهُ زَيْنَبُ (بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَهَاجَرَتْ. فَقِيلَ لَهُ: هَلْ لَكَ أَنْ تُسَلِّمَ وَتَأْخُذَ هَذِهِ الْأَمْوَالَ الَّتِي مَعَكَ؟ فَقَالَ: بئس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي. وكفلت عنه امرأته أن يرجع فيؤدي إلى كل ذي حق حقه؛ فيرجع ويسلم، ففعل، وما فَرَّقَ بَيْنَهُمَا، يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. [تَارِيخُ الْإِسْلَامِ لِلْإِمَامِ الذَّهَبِيِّ].

فرفض هذا الرجل أن يبتدئ إسلامه بعمل يلفت نظر الناس إليه أنه خان الأمانات. ألا فليترك الله كل مسلم ومسلمة في سمعة المسلمين وسيرتهم.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.